حوليات آداب عين شمس المجلد 51 (عدد يوليو – سبتمبر 2023)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

الثقافة وأثرها في بناء الوعي الجمعي الجمالي

علي خضير شمخي جابر*
كلية الفنون الجميلة جامعة بغداد
alikdaer64@yahoo.com

مهند مسعود جميل ابراهيم*
كلية الفنون الجميلة جامعة بغداد
mhnd.hayali@gmail.coms

تاريخ الاستلام: 2020/08/13
تاريخ قبول البحث: 2020/09/03
تاريخ النشر: 2023/09/30

المستخلص:

ان تَشَكُّل السلطات المرجعية من العقائد والمفاهيم الاجتماعية والسياسية والاعراف تركت اثراً كبيرا في رسوخ القيم، وبالتالي تحتاج الى هزات ابستيمولوجية كبرى تُغّير تلك المفاهيم لكي تُدخِل دائرة الوعي الفردي والجمعي الى منطقة المعاصرة والانقلابات الكبرى، وهذا يحتاج الى تغير في الثقافة التي تسهم في التحول في الوعي الجمعي ليكون قابلاً ومستعداً لهذا الاندماج مع العالم المعاصر بكل مايحويه من تحولات معرفية ومنها الفنون المعاصرة لذلك تكون **مشكلةالبحث** الحالي مبنية على التساؤل التالي:

هل تُشَكِّل الثقافة أثراً مرجعيا يسهم في الوعي الجمعي الجمالي للدخول في دائرة المعاصرة والثقافات الجديدة.

أما **أهمية البحث:**فقد استندت الى إقامة حفريات في الثقافة المجتمعية، من خلال دراسة الحقل البصري وتبني الكشف عن المفردات والدلالات والعناصر التي تتحول الى عوامل محفزة للتأثير على الوعي الثقافي الجمالي للمجتمع وفق متطلبات تفرضها الصيرورة الفنية الجديدة، بما فيها دراسة تأثير انفتاح الفن على مجاوراته من الثقافات، ورؤية الاشياء من زوايا متعددة وتأثير ذلك على ذائقية ووعي المتلقي.

أما **هدف البحث** فقد حدده الباحث بغية الوصول الى نتائج تحقق الهدف ذاته، وهو:

كشف تأثير الحضور التاريخي كمرجع اساسي، في ثقافة ووعي المجتمع.

وقد تحدد البحث **موضوعياً** بدراسة الحضور الثقافي وأثره في الوعي الجمعي الجمالي، و**مكانياً** تحدد بالفن التاريخي والمعاصر، وهذه هي **الحدود الزمانية.**

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب – جامعة عين شمس 2023.

المقدمة:

تتمحور الدراسة حولالبناء الثقافي والتحولات التي حدثت بفعل هذه الثقافة، ومدى تأثير ذلك في الوعي الجمعي الجمالي، وما للمرجعيات التاريخية من أثر في التحديث الذي اوجد العلم والمعرفة، وهذا يجعل من الثقافة الوسيط الذي يغير النسق القيمي في الوعي الفردي والجمعي الذي يشكل لاحقا الرصيد المعرفي الاكثر أهمية.

ان التلاقح المعرفي المحلي والعالمي والتسارع في المتغيرات والرؤى والمفاهيم والافكار والتقنيات والادوات، وما تبعها من التحولات الكبيرة في الفنون، جعلت من هذا التلاقح والمثاقفة بين شعوب الارض ان يمتدّ أفق الفن وظلاله بعيداً، حتى صار الفنان باعثاً ومتلقياً في آنٍ واحد معاً، وصار بالأمكان تلمس خصائص الذائقة الجمعية والثقافة الجمالية، وتبدلت طرق تقديم الفنان موضوعاته التي اختزل فيها فكرة الزمان والمكان، ونقل الفن ولغته وبرامجه مسنداً بمرجعيات إرثهُ الزاخر بالحضارات القديمة ومرموزات الموروث الشعبي ذات الدلالات التاريخية، يضاف اليها التبدلات والوقائع والاحداث الآنية، التي أظهر من خلالها الملامح الفردية والعامة للوعي الجمالي للمجتمع واشكال منظومته الثقافية والتي تحمل مضامين يمكن تفسيرها وفق آليات التواصل.

المبحث الاول:

مفهومات في الثقافة:

مفهوم الثقافة من المفاهيم الاساسية في الميدان المعرفي باختلاف أنساقها واتجاهاتها ويتعلق الحقل المعرفي بمجموع المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بطابعها الوظيفي التي " تنظر الى الثقافة كآيديولوجيا وليس فقط كمنظومة من الممارسات والسلوكيات والعلاقات او كسلع مادية"[1] بحيث تشمل الابعاد التاريخيةوالجوانب الاجتماعية الواقعية الراهنة، وعن طريق هذا المنظور الواسع لمفهوم الثقافة يمكن ملامسة الظواهر الفنية الجمالية على انها جزءاً منه(اي ان الفن قد يصبح واسطة لإلهام المجتمع، واستخدامه لتفسير المادة الخارجية بلغة الحياة الداخلية، عندما يتقرر ان مسارات الفن تقترب من حدود التجارب الجمالية.. لكون الفنان والشاعر، كما يفترض، يملك بصيرة خاصة في الحياة، والاحاسيس التي يعدّها واقعية أكثر من اي شيء خارجي المتمثلة في الواقع اليومي)[2]، لكي نتمكن من تفسيرها وفهم الكيفيات التي تتحول بها نشاطاتها وفعالياتها الى طرائق تعبير مختلفة في الواقع الاجتماعي وانعكاسها على نمط الحياة واساليبها وتناميها الى اشكال وصور في مجالاتها المختلفة وبالتالي اسهامها في بناء الوعي الانساني، ولذلك يمكن وصف "الثقافة على انها كُل يتكوّن من أشكال السلوك المكتسب الخاص بمجتمع او بجماعة معينة من البشر"[3] يعني ان الثقافة لاتعرف الاّ بنموذج ترتبط به ويكون حاضراً بكيان يؤشر هذا الحضور، وتتضمن بناء نسق او مجموعة من القواعد لترجمة الخبرات الانسانية

وصياغتها في منتج ثقافي " فكل ثقافة ترتكز حول محور رئيسي يعطيها نمطا او تشكيلا خاصا بها ومميزاً لها عن غيرها من الثقافات"[4] ولتشيد وجودها وقاعدتها الاجتماعية التي تستند الى الظواهر الخاصة بهذه الثقافة، اما ما تنتجه الثقافة فهو يؤسس على بنية ذات سمات تتحدد في اطار التلقي والمشاركة وتتضمن بطبيعتها مجالات لقوى اجتماعية واقتصادية وسياسية تحركه ويتحرك بواسطتها "ويتوقف تماسك كل مجتمع انساني على فهم افراده لقيمه وقواعده المشتركة اي كل ما تنطوي عليه فكرة الثقافة في الواقع وهذا الفهم لا يكسبه الشخص عند ولادته، لكن يحصل عليه خلال مراحل حياته المختلفة، وتنطوي على الوسائل التي يكتسب بواسطتها الافراد المعرفة والمهارات وقواعد التصرف التي تؤهلهم للمساهمة كأعضاء فاعلين نوعا ما في النشاطات للجماعات المتنوعة والمجتمع الشامل"[5]، لذلك تعد بهذا المعنى مركب لشبكة من العلاقات المتداخلة التي تحولمحتوياتالتجربة الحياتية الى مادة حية قائمة وترفعها من افقها المحدودفيالمكان والزمانالىمستوى اوسع في التداول ومع الافتراض الذي يجعل من الثقافة طريقة تتعلق بكلية الحياة سواء كانت اجتماعية او اقتصادية او سياسية يظهر التفاعل والتلازم الوثيق بينها وبين الاليات المحركة لها سواء أكانت ايديولوجية فكرية وسياسية او تكنولوجية بحسب النظامالوظيفي والتقني محكوم بأسس وقواعد (فالفعل الثقافي ضروري الوجود من خلال خلق الوعي لدى المجتمع)[6]، وكان الفن احد فروعها التي تخضع لآليات ومفاهيم لإدراك تمثلاتها في اساليب فنية مختلفة قابلة للقراءة والتفسير، وبشكل خاص يمكن عد الفن التشكيلي مرجعاً لأي نسق ثقافي بوصفه جزءاً اساسياً وحيوياً من بنائه الكلي لذلك تمكننا الاعمال الفنية الاحالة الى الحقبة الثقافية التي تمت فيها عملية الانجاز وفقاً لموضوعات او اشكال او تقنيات معينة ذات صلة بهذه الحقبة،كما يمكن التعرف بذات الوقت على السمات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية لتلك الحقب من خلال تلك النتاجات الفنية وبالمعنى الذي لا تمثل فيه الحقبة انقطاعاًاو عزلاً او تجزئاً للتاريخبقدر ما هي "امتدادات مفتوحة من كل نهاياتها واداة لفهم الاحتمالات التاريخيةوالطريقة التي تختلف بها العصور وملاحظة المتغير فيما يتعلق بأشكالها الاجتماعية"[7] وتقترن الثقافة بالفن وهو الميدان الرئيس الذي تتجلّى فيه مظاهر الجمال فهو عملية مبدعة انتاجية ينبغي ان تتولد عنها آثار جمالية، لقد ذكر الانثروبولوجي الانكليزي (ادوارد تايلور) بكتابه – الثقافة والبداية– بأنَّ " الثقافة او الحضارة بالمعنى الاثنوغرافي الواسع: هي كل مركب يشتمل على المعارف والمعتقدات والفن والقانون والاخلاق والتقاليد والقابليات والعادات الاخرى التي يكتسبها الانسان كعضو في مجتمع معين"[8] وتمتاز بانها عملية ابداعية متجددة تقوم بخلق كل ماهو جديد ومستقبلي عن طريق الفكر الفعال لكي يعبر عنها ويمثلها والثقافة الجمالية تمثل انجاز مستمر عبر التاريخ، فهي بالاضافة لاحتوائها على كل ماهو جديد تحافظ على التراث وتجدد قيمه الفكرية والمادية، وتمثل الثقافة الجمالية مظاهرالحياة الفنية "والقدرة على التعبير الانساني للمجتمع وبطرق تتداخل فيها الفنون مع الثقافة هناك عوامل عديدة تفعل فعلها في التغيير الثقافي، وتشير الى التقدم الفكري الذي يتحصل عليه الشخص او المجموعات او

الانسانية بصفة عامة"[9] ورغم ان بعضها تبدو غير ثقافية الاّ انها متصلة بالتراث الثقافي وبالمجتمع، ومتأثرة بكل منهما في الوقت نفسه "اما العوامل الثقافية فإن تأثيرها يفوق العوامل الاخرى"[10] لتكون العامل الاكثر تأثيرا من بقية العوامل ومقابلة لوعي الجمهور والقدرة العالية على التعبير" هذا يعني ان الثقافة ليست ماهية ثابتة او معطى جامدا، انما هي محصلة حقل تفاعلي يرسم علاقة توتر دائمة بين الوعي والواقع، بين الذات والموضوع، بين الحاضر والمستقبل والحلم والامكان.. وقد تذبل وتضمحل متى تعمق الانفصال بين الوعي والواقع، وتتحول بالتالي الى طقوس وشعائر وفولكلور يكتفي بتغذية الذاكرة "[11] وعليه يعد الفن اداة من ادوات تطبيق الثقافة الجمالية اضافة الى مساهمته بشكل فعال في رفع مستوى الوعي الانساني وتنمية المدارك عندما تتنوع اساليبه وطرق تعبيره الجمالية وبهذا يشترك الفن في علاقة دائمة مع البناء الثقافي للمجتمع.

الموروث الثقافي والوعي الجمالي:

يتألف الموروث الثقافيمن منظومة متكاملة من القيم يعيشها مجتمع او جماعة معينة بغض النظر عن مدى تطور العلوم لديهم او مستوى حضارتهم يورثه الاجداد للآباء كما يورثه الآباء الى ابنائهم مضافا اليه ما انجزوه في مجال النمو والتطور، ويعبر الموروث الثقافي عن طبيعة هذه الجماعة او المجتمع "ولا تنتقل الثقافة بناءً على اوامر انها تخلق نفسها تلقائيا من ضروريات البشر ونشاطهم الاجتماعي التعاوني"[12]، وبهذا فان للثقافة المجتمعية بدورها من الاهمية الاثر الكبير في تطور الفنون حيث "استقرت انماطها وفق الزمان والمكان والمادة وطبيعة السلطة السياسية والاقتصاد والمعرفة والايدلوجيا – دينية ام علمانية "[13]ولا تنفصل الفنون عن ثقافة المجتمع بل هي جزء لا يتجزأ منها لتشكل ثقافته ووعيه الجمالي بالأشياء، فقد عاشت المجتمعات البشرية قديما معزولة عن بعضها البعض فلم تكن وسائل الاتصال والمواصلات سهلة، فمثلاً كان التجار وسيلة من وسائل التعرف على ثقافة الشعوب الاخرى وكان تأثيرها قليلا جدا لهذه الاسباب "والاتصال يقيم في العادة علاقات اجتماعية جديدة فعند اتصال فرد باخر او مجتمع باخر او جيل بآخر، فأن علاقة ما وبشكل من الاشكال تظهر بينهم قد تنجم عنها مشاركة في الرأي والمعتقد والهدف وبالتالي يتهيأ لهم التفاعل مع واقعهم للعمل على التحرك والتغيير"[14] بينما الحروب والاستعمار بشتى اشكاله كان الوسيلة الوحيدة لاطلاع الشعوب على ثقافات غير ثقافتهم وتحاول الدول المستعمرة نشر ثقافتها في البلاد التي تسيطر عليها ليسهل عليها التواصل مع المجتمع على الرغم من رفض هذه المجتمعات او الشعوب التخلي عن ثقافتهم الاصلية، اذ يعد الموروث الثقافي والفني الجمالي جزءاً من وجود الانسان لذلك فهو يسعى للحفاظ عليه بشتى الوسائل " بكونه السبيل المؤدي الى تاريخ الحضارة منذ الاف السنين ومنه نستقي معرفتنا بالعادات والمعتقدات عن طريق الاعمال الفنية الباقية "[15] وان اية مراجعة لتاريخ الفن تؤشر الى ذلك، فقد بدأت الحياة الفنية في مجتمعات ماقبل التاريخ بالتعبير عن الحياة اليومية بالنحت والرسم على الاحجار فمثلا نجد" ان اسلوب النحت البارز اصيل وعريق في حضارة وادي الرافدين فقد ظهر منذ العهد الشبيه

بالكتابي منتصف الالف الرابع (ق. م) واستمر تطوره وتقدمه في العصور التالية"[16]، ومع التطور الحضاري اتسعت طرق التعبير لتشمل الكتابة والاداء الحركي واستخدام الوسائل التكنولوجية في تطوير الفنون، وكانت الحضارة اليونانية والمصرية والاغريقية والرومانية تتسم بقيم جمالية محددة، ترسم حدود هويتها وفق معايير معينةفنجد ان" قيادة الفكر عند الاغريق كانت في بادئ الامر في ايدي الشعر والشعراء فأصبحت السيادة لهذا الخيال الرائع الذي نراه في الشعر فهي تصوير لحياتهم تقربهم من الصور الانسانية ويرقي الذوق الفني والوضوح العقلي على السواء"[17]،وهي بمثابة مقياس موحد للجمال وأسسه ومكوناته، لذلك يمكن القول ان لكل شعب من شعوب العالم تراث فكري خاص به ويعد من العوامل الرئيسة التي تتميز بها المجتمعات عن بعضها البعض حين تختلف طبيعة الوعي الجمعي وخصائصه الثقافية من مجتمع الى آخر وذلك للارتباط الوثيق الذي يربط واقع الامة وتراثها الفكري والحضاري الذي يتفق مع النمو الحضاري للامم، لكن هناك بعض المشتركات الثقافية للامم ويمكن للثقافات المختلفة ان تلتقي مع بعضها البعض في كثير من الامور الرئيسية ويكون" الاختلاف هو الزاد المعرفي والمحرك العلمي لتفاهم الثقافات وتواصلها"[18] بالنهاية فالاختلاف بين الثقافات حافز للالتقاء بينهما عن طريق تعزيز دور المشتركات بين المجتمعات التي تتفاعل مع بعضها البعض هذا التفاعل يؤدي الى ظهور تأثيرات جزئية او كلية في طبيعة هذه الثقافات وخصائصها" فالاختلاف واقعة الوعي الانساني وحفز نموه وتطوره، بل ان الثقافة والحضارة الانسانية لم تحقق متحولاتها إلاّ بدعوى هذه الواقعة في الذات الانسانية"[19] وتعتمده ظواهر النتاج الابداعي في كل زمان ومكان.

المبحث الثاني:

الحضارة وتنوع المرجعيات الثقافية:

تعد الثقافة احد اركان الحضارة وهي الركن المعنوي فيها وتشمل كافة الجوانب غير المادية المتمثلة بالعقيدة والقيم والافكار والعادات والتقاليد والاخلاق والاذواق واللغة والتي تختص بها أمة معينة عن غيرها ولم يميز معظم علماء الانثروبولوجيا والاجتماع بين المصطلحين كما يقول (برودل): "ان كلاً من الحضارة والثقافة يشيران الى نمط الحياة العام من البشر، وما الحضارة إلاّ ثقافة كتبت بحروف كبيرة كلاهما يتضمنان القيم والمبادئ والمؤسسات وانماط التفكير التي تعطي لها الاجيال المتعاقبة في مجتمع ما اهمية واولوية "[20]، والحضارة عند برودل فضاء ومساحة ثقافية وتمثل توليفة من خصائص وظواهر ثقافية وبما ان الثقافة ذات بعدين مادي ومعنوي فالجوانب المادية للثقافة يمثّل كل مايساهم في بناء الحضارة من اشياء يستعملها الانسان في حياته وتتميز بالعمومية فهي ملك لجميع الافراد، فالفن الاغريقي والأثيني منذ القرن الخامس ق. م " لم يكن موجهاً فقط لإشباع الحاجات الوضعية والظرفية لجماعة بشرية معينة، لكنه يحمل غاية كاملة تامة للحاجات الجمالية عند كثير من المجتمعات البشرية وفي ظروف زمنية ودينية وروحية ومادية شديدة التباين فيما بينها"[21]، وتمثل روح الحضارة

وتشكل الجوانب المادية مادتها الطبيعية التي تؤدي الى تحقيق التطور الذي تسعى اليه كافة المجتمعات، وبالنظر لتنوع تلك الحاجات واختلافها فقد تعددت مرجعياتها الثقافية لارتباطها بالأنشطة الحياتية، ذاتية كانت او مجتمعية، سياسية كانت او تاريخية ليرتبط تعدد وتنوع الابداعات الانسانية المختصة بالحقل البصري بالتنوع الثقافي "فالثقافة هي بمنزلة "روح المجتمع" التي تنفتح فيه الحياة وفن المجتمع هو الاشد تعبيرا عن هذه الروح على هذا الاساس يمكن النظر الى النتاج الفني بوصفه تعبيرا عن اعراف وتقاليد المجموعة"[22]،اذ تعتمد الثقافات في انتشارها على اللغة حيث"ان اللغة تعكس ثقافة مجتمع في حقبة من حقب التاريخ"[23]الا ان الاشكالية التي تعرقل انتشار الثقافات عن طريق اللغة تكمن في اختلاف الفاظها ولهجاتها وقواعدها من بلد الى آخر اذ يتعسر الفهم الثقافي بالاعتماد على اللغة فقط وذلك يتطلب الدراية بجميع اللغات واللهجات وهذا ضرب من ضروب المستحيل، بيد انّ الفن بحد ذاته هو لغة عالمية كونه يمثل فكرة بث الشفرات التي يمكن لمختلف الاجناس امكانية استيعابها واستقرائها على رغم تنوع لغاتها ولهجاتها، واختلافها بالتقاليد والعادات والاعراف واختلافها بآليات التفكير، فالفنهو لغة العولمة ويساهم في تعزيز الانتشار الثقافي فضلاً عن اسهامه في تفعيل فكرة التلاقح الثقافي والحضاري بين شعوب العالم اجمع "فالثقافات هي مجموعة من التصنيفات المواشجة والمبادئ التصنيفية وفي حين تمنحنا التواصل مع العالم الخارجي"[24]ويبقى الفن من بين المناهل الثقافية الاكثر اهمية لسهولة تداوله في الكثير من المجتمعات لتفوقه على اللغة في التداول الثقافي حيث تعدّ العلاقة بين الفن والثقافة علاقة جدلية بدلالة أن الفن بذاته هو نشاط ثقافي محظ فضلاً عن دخوله في الانشطة الحياتية المتمثلة بالمجتمع – الدين– السياسة– التاريخ... فالفن أسس لكل منها، وكل منها قد اسس للفن.. فالفن اسس للدين ووظف لخدمة الادلجات السياسية وادخاله في منظومة العناصر التي تشكّل الممارسات الطقوسية الدينية والاجتماعية واعتمد في المحاكاة الحسية وغير الحسية للأنشطة الاجتماعية، فضلاً عن الافادة من الفن ليؤسس للتاريخ كما اسس التاريخ للفن بدلالة ان البحث في مضامين اللقى الاثرية التي تعد من بين الابداعات الفنية فأنها ايضاً اسهمت في الكشف عن الانشطة الحياتية والثقافية عبر الحقب التاريخية القديمة وكما يقول (كوبلر) "يمكن اعتبار كل عمل فني حادثا تاريخيا"[25]، والفنبذاته يُعد من بين الانشطة الحياتية المهمة، وبهذا يمكن القول بأن الفن هو مرجع ثقافي والثقافة بعموميتها هي مرجع ناهل للفن، وان "تأثير العوامل الطبيعية على الثقافة بما فيها الفن هو اليوم حقيقة لاريب فيها"[26] لتتحقق بذلك جدلية العلاقة بين الفن كونهُ احد العوامل الطبيعية الحياتية، وبين الثقافة وعدّ الفن احد العوامل الثقافية، ويتباين التفاعل الثقافي بين بلد وآخر وبين منظومة حضارية واخرى تبعاً لتباين البناء الثقافي على مستوى الفرد وانعكاس ذلك على درجة الوعي الذي يمتد ليشمل المجتمع بأكمله،اذ انّ البعض يسعى الى ربط البنى الثقافية الحديثة بموروثاتها المرجعية، السسيولوجية والتاريخية ويذكر(هيجل)" ان التاريخ الحقيقي للانسان لا يبدأ إلاّ مع ظهور الوعي "[27]، وهنا يمكننا القول ان كل ماهو انساني لا يكون واعياً الا بمقدار مايمتلك من ثقافة وفكر، اما البعض الآخر فيسعى

الى تجنب النظر الى الخلف لعدم ايمانه بالبناء المرجعي الثقافي في العصور السابقة، ويسعى في الاجتهاد لإيجاد اسس ثقافية مبتكرة وعليه "يختلف النمط الثقافي للبيئات المختلفة من حيث التعقيد او البساطة ففي المجتمعات البدائية تكون اساليب الثقافة بسيطة وواضحة تقوم على التلقين والتقليد اكثر منها اعتماداً على الفكر والابداع أما في المجتمعات المتطورة فأساليب الثقافة فيها اكثر تعقيداً نظراً لتعقيد المفاهيم وتطور اساليب الحياة" [28]وهكذا الحال في الفن، اذ تسعى المجتمعات البسيطة البدائية الى التقليد في حين تسعى المجتمعات المتطورة الى التجديد والابتكاروالتطوير.

اسس الفن سواءً على صعيد الفكر الدراماتيكي في الفنون الادبية او على صعيد الفكر الساعي الى تجسيد التصورات التي تنتجها المخيلة الناشطة على صورٍ مرئية بدلالة الفنون التشكيلية وان العوامل الثقافية التي تؤثر في بيئة الفن، هي الاحوال السياسية والاجتماعية "الظلم الذي لايحتمل واخضاع الفرد واشاعة اليأس التام وفكرة ان العالم قد حلّت به اللعنات... تلك هي الحالة السايكولوجية التي ادت الى نمو الميتافيزيقيا والاساطير"[29] التي ظهرت بدواعي القلق من المجهول منذ بواكير ظهور الحضارات القديمة لتصبح تلك التصورات وذلك الفكر الدراماتيكي الميتافيزيقي اساساً لمنظومة ثقافية تركت نكهتها على "ملحمة جلجامش" في الثقافة السومرية القديمة، وعلى "الأوديسا و الالياذة " في الفكر الثقافي الاغريقي، والاساطير المصرية القديمة في المبنية على الفكر الجنائزي وحياة ما بعد الموت في عهد السلالات الفرعونية الحاكمة... وهكذا.(شكل-1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9)

شكل(1) شكل(2) شكل(3)

(الفكر الدراماتيكي الميتافيزيقي أساساً لمنظومة ثقافية تركت نكهتها على "ملحمة جلجامش" في الثقافة السومرية القديمة)

شكل(4) شكل(5) شكل(6)

(ملحمة الالياذة والاوديسا)

(الدراماتيكية في الفنون الأدبية في الفكر الثقافي الاغريقي يمثل تجسيداًللتصورات التي تنتجها المخيلة وتحويلها الى صور مرئية بدلالة الفنون التشكيلية)

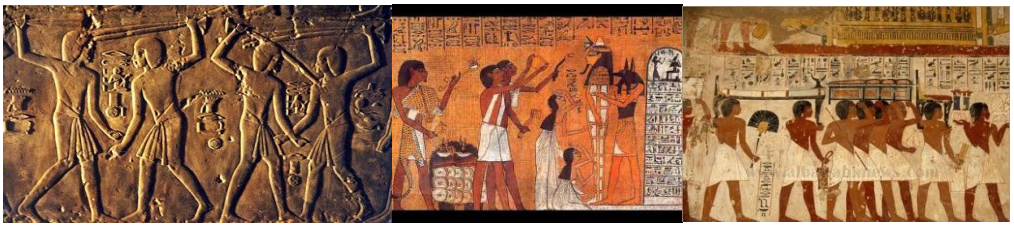

شكل(7) شكل(8) شكل(9)

(الثقافة الفرعونية والأساطير المصرية القديمة–الفكر الجنائزي وحياة ما بعد الموت في عهد السلالات الحاكمة)

وتشير لفظة الثقافة، الى الايجاب في معظم الاحوال الاّ ان ذلك لا يمس حقيقة مفهوم الثقافة على نحو دقيق اذ ان بعض الثقافات بنّاءة، وبعضها هدّام لاسيما تلك الطروحات الدينية المتطرفة التي تؤكد تحريم بعض الانشطة الفنية بجميع اتجاهاتها وفن التشكيل على وجه الخصوص "لتمدنا الثقافة بمجموعة من الظروف التي قد تيسر الابداع او تعرقله "[30]فان ثقافة اخضاع الفن لخدمة الفئات المترفة، وللادلجات السياسية تسلب من الفنان حريته في العطاء ويحدد ذلك من فكرة استنفار طاقاته لانتاج الفن الاصيل، فالثقافة الايجابية غالباً ما تسعى الى معارضة الآراء الثقافية السائدة بغية الوصول الى نواتج ثقافية اكثر ايجاباً واكثر نفعاً، وقد اعتُمِدَ ذلك من قِبَل (سقراط) تحت منظومة (التهكم – الشك – التولد) فبالمعارضة تتولد المعارف والثقافات الجديدة "وليس معنى الثقافة عند (هيجل) ان ينمّي الفرد مواهبه وقدراته على نحو متسق متكامل، لكي يحقق لشخصيته ضربا من النضج العضوي، بل ان معنى الثقافة عنده ان يعارض الفرد ذاته وان ينفصل عن نفسه"[31]، وبذلك يجعل من الفرد ان يصبح ذا موسوعية ثقافية متجددة على الدوام ولا يتبنى منظومة ثقافية محددة خصوصاً بعد طغتعلى العالم المعاصر منظومة التصفح الحديثة عبر الانترنت، التي سَرّعت من انشطة الاتصالات والمواصلات بين مجتمعات العالم " ومما يزيد من فعالية هذه الثقافة المعولمة ان التبادل الثقافي غالبا ما يكون تبادل غير متكافئ بين ثقافات متقدمة تمتلك امكانيات واسعة، وثقافات تقليدية لاتزال ادواتها الموروثة التاريخية هي ذاتها، يكون الحاصل هيمنة احتوائية اكثر منها تبادل ثقافي، وبذلك تصبح فعل اغتصاب ثقافي وعدواني رمزي على سائر الثقافات"[32]،ولكن مع هذا كله تبقى فكرة التجدد الثقافي بين الافراد وبين المجتمعات على حد سواء لها اهميتها الكبرى في التنوع الثقافي في ظل الوحدة الانسانية يحتم على البشر بالتعايش الثقافي ويعمق مفهوم التثاقف لدرجة اصبح معها عنصراً رئيساً من عناصر المجتمع الدولي المتحضر " وان تنوع الثقافات ضرورة اجتماعية تاريخية وضمان للنهوض وان ارتقاء حياة الانسانية في جميع المجتمعات وعلى اختلافها، وعلى مدى التاريخ رهن بتنوع الثقافات وتفاعلها وتباين الرؤى وباختلاف الآراء وبتوافر آلية اجتماعية، تكفل التفاعل الايجابي الحر"[33] الذي لا يتأثر بالأفكار السلبية الهدامة، والذي لا يسمح بفرض ثقافـــة الآخر بأساليب قسرية "ولربما نتفق ان احياناً ان الاثر الثقافي، اذا انفصل عن اطاره الثقافي الاصيل، يصبح مرفوض، لا يروق للآخرين في بلد اخر، لاختلاف

المعطيات الايديولوجية والثقافية التي يرتبط بها في البلاد الاصلية "[34]، اذ انّ حريـــة التفاعل الثقافي وحرية البناء الثقـــافي تجعل من الثقافـــة ان تمتـــاز بالأصالة والرقي،وهذا لا ينفي كون التنوع الثقـــافي من بين اهم المرجعيات الرافدة للوعي الثقافي للانسانية بشكل عام.

من هنا يمكننا القول ان الفنان المعاصر وجد نفسه مسنداً بإرث ثقافي غني في تنوعه يمثل مرجعاً ناهلاً لخصائص وسمات الفن التشكيلي المعاصر، فضلاً عن كونه يمثل جذراً مرجعياً مؤثرا على خصائص وسمات معظم الاتجاهات والمدارس والاساليب الفنية التشكيلية الحديثة عموماً والتي تمتد جذوره الى عصور ما قبل التاريخ، المشبعة اعماله الفنية بالضخ التعبيري والمنعكس الدلالي، حيثيقترن الاشباع التعبيري بالابتعاد عن المطابقة لأشكال الواقع المرئي، كون العمل الفني الملتزم بالتطابق لابد ان يكون مقيداً بالحدود التي يفرضها المستدعى الشكلي على حساب حرية الابداع الفني، وعليه فأن التصرف يحقق نوعا من الحرية في التعبير – اي كلما زاد التصرف بالشكل وابتعد عن المستدعى، يكون المنعكس التعبيري منه على المتلقي اكثر جلاءً ووضوحا وبالتالي أكثر وعياً لما يتضمنه المنجز، وكلما اقترب العمل الفني من التطابق مع الواقع المرئي يؤدي ذلك الى تذليل البث التعبيري.

وكذلك فان معظم الخصائص والسمات التي يمتاز بها والتي ورثها من اجداده العظـــام تمثـــل مرجعيـــات لخصائص الحداثة في التشكيل، وبذلك فقد اصبح الطريق الى الحداثة سالكاً بحكم تعالقه مع خصـــائص وســـمات ارثه الحضاري والتاريخي، ولكي تتحقق التجربة الجمالية او الوعي الجمالي بالتأمل والتفاعل مع الفعل الحـــداثي الذي تفرزه ثقافة العصر، ذلك الحقل الذي يحقق انفتاحات واصليا واسعا كونه يهتم بنوعية العلاقة الاجتماعية التي تجمع بين المرسل والمتلقي والخطاب الذي يبث عبر وسائل الاتصال

نتائج البحث:

1- يمكن ملامسة الظواهر الفنية الجمالية على انها جزءاً من المجتمع،عن طريق المنظور الواسع لمفهوم الثقافة،اي ان الفن قد يصبح واسطة لإلهام المجتمع.

2- تقترن الثقافة بالفن وهو الميدان الرئيس الذي تتجلّى فيه مظاهر بناء الوعي الجمعي الجمالي فهو عملية مبدعة انتاجية ينبغي ان تتولد عنها آثار جمالية.

3- انّ حريـــة التفاعل الثقافي وحرية البناء الثقـــافي تجعل من الثقافـــة ان تمتـــاز بالأصالة والرقي،وهذا لا ينفي كون التنوع الثقـــافي من بين اهم المرجعيات الرافدة للوعي الثقافي للانسانية بشكل عام.

4- اسس الفن سواءً على صعيد الفكر الدراماتيكي في الفنون الادبية او على صعيد الفكر الساعي الى تجسيد التصورات التي تنتجها المخيلة الناشطة على صورٍ مرئية بدلالة الوعي الجمالي، وان العوامل الثقافية لها الدور الرئيس المؤثر في بيئة الفن.

الاستنتاجات:

1-الثقافة كُل يتكوّن من أشكال السلوك المكتسب الخاص بمجتمع او بجماعة معينة من البشر.

2-للثقافة المجتمعية بدورها من الاهمية الاثر الكبير في تطور الفنون حيث "استقرت انماطها وفق الزمان والمكان والمادة وطبيعة السلطة السياسية والاقتصاد والمعرفة والايديولوجيا – دينية ام علمانية.

3-الثقافة الجمالية تمثل انجاز مستمر عبر التاريخ.

4-ان الاثر الثقافي، اذا انفصل عن اطاره الثقافي الاصيل قد يصبح مرفوض.

Abstract

Culture and its impact on building aesthetic collective awareness

By Ali Khudair Shamkhi Jaibr

And Muhaned Masood Jamel Ibrahem

The formation of reference powers from beliefs, social and political concepts, and norms left a major impact on the consolidation of values, and therefore needs major epistemological tremors that change these concepts in order to enter the circle of individual and collective consciousness into the contemporary area and major coups, and this needs a change in the culture that contributes to the shift in consciousness The collective to be capable and ready for this integration with the contemporary world with all the knowledge transformations it contains, including contemporary arts. Therefore, the current research problem is based on the following question:

Is culture a reference effect that contributes to the aesthetic collective awareness of entering the circle of contemporary and new cultures?

As for the importance of the research: it was based on establishing fossils in the societal culture, through studying the visual field and adopting the disclosure of vocabulary, indications and elements that turn into factors that stimulate the aesthetic cultural awareness of society according to the requirements imposed by the new artistic process, including studying the impact of the openness of art on its neighborhood. From cultures, seeing things from multiple angles and the effect this has on the self-service and the consciousness of the recipient.

As for the aim of the research, it was determined by the researcher in order to reach results that achieve the same goal, which is:

Expose the influence of historical presence as a basic reference in the culture and awareness of society. The research was determined objectively by studying cultural presence and its effect on aesthetic collective awareness, And spatially determined by historical and contemporary art, and these are the temporal boundaries.

مراجع البحث:

[1]) – ميشيل فوكو، واخرون، التحليل الثقافي: العدد 1218، المركز القومي للترجمة، ت. ر، فاروق احمد واخرون، اشراف: جابر عصفور، القاهرة، ط1، 2008م،ص9

2)– مجموعة من النقاد، اتجاهات في النقد الادبي الحديث: ت.ر، محمد درويش، دار المامون للترجمة والنشر، وزارة الثقافة، جمهورية العراق، ط1، 2009م،ص316

-(3Ralph L..Beals and Harry Hoijer'An Introduction to anthropology (New York: Macmillan,p219[1953],

4)– حسين فهيم، قصة الانثروبولوجيا – فصول في تاريخ علم الانسان: عالم المعرفة، ع (98)، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، 1986م،ص179

5)– الاسود، صادق، علم الاجتماع السياسي – أسسه وأبعاده: دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، 1990م،347

6)- سليم مطر، جدل الهويات- صراع الانتماءات في العراق والشرق الاوسط: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003م،ص28

7) – امبرتو ايكو، السيميائية وفلسفة اللغة:ت. ر، محمد التهامي وآخرون، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2008م،ص449

8) -(Edward B taylor primitive culture: researches into the development of mythology philosophy religion art. And custom 2 vols (London:j.murray. 1871

9)-غي روشيه، مقدمة الى علم الاجتماع العام: ت.ر، مصطفى دندشلي، ج2، لبنان، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1985م،ص130

10)- الهيتي،هادي نعمان، الاتصال والتغير الثقافي: الموسوعة الصغيرة – العدد /23، الجمهورية العراقية، بغداد، منشورات وزارة الثقافة والفنون، 1978م،ص106

11)- عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة، المفاهيم والاشكاليات...من الحداثة الى العولمة: مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، بيروت، ط3، 20016م،ص17

12)- رودولف روكر، القومية والثقافة: ت. ر، احمد زكي احمد، ج 1، المركز القومي للترجمة،مصر، القاهرة، العدد 2923، ط1، 2018م،ص120

13)- بلاسم محمد، النقد والفن ودراسات في النقد الفني: مكتبة الفتح، بغداد، 2003 م،ص6

14)-هربرت ريد، الفن والمجتمع: ت. ر، فارس متري ظاهر، دار العلم،لبنان، بيروت، لبنان،ص9

15) – طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات: دار الوراق للنشر المحدودة، بيروت، لبنان، 2012م، ط2،ص595

16)- طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات: دار الوراق للنشر المحدودة، بيروت، لبنان، 2012م، ط2،ص68

17)- اميرة حلمي مطر، الفلسفة عند اليونان: القاهرة، 1968م،ص39

18)- د.عبدالله ابراهيم العسكر، ثقافتنا وثقافة الغرب مشترك واحد، مقال منشور على الانترنت، جريدة الرياض، العدد 13869- 2006/6/14، www,alriyad, com

19)- نجم عبد حيدر، (التفكيكية كاستراتيجية مفارقة للمنهج البنيوي): محاضرة لطلبة الدكتوراه، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، قسم الفنون التشكيلية، بتاريخ 2017/3/29م.

-(20FERNAND BRAUDRL A HISTORY OF CIVILIZATIONS TRANSLATED BY RICHARD MAYNE NEW YORK A LANE PENGIUM PRESS, 1994) p4-5

21)- اتيان سوريو، الجمالية عبر العصور: ت.ر، د.ميشال عاصي،منشورات عويدات، بيروت- باريس، ط2، 1982م،ص75

22)- ديفيد انغليز _ واخرون: سوسيولوجية الفن _ طرق الرؤية، ترجمة: ليلى الموسوي، مراجعة: محمد الجوهري عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية، يصدرها: المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت،ع"341"،ص20

23)- العروي، عبد الله، مفهوم الحرية: ط6، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2002م،ص27

24)- سوزان روبين سليمان - وآخرون،القارئ في النص، مقالات في الجمهور والتأويل: ت. ر، حسين ناظم وآخرون، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت،2007 م،ص266

25)- جورج كوبلر، نشأة الفنون الانسانية، دراسة في تاريخ الاشياء: ت. ر، عبد الملك الناشف، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر، بيروت، 1965م،ص68

26)- توماس مونرو، التطور في الفنون، ج (1):ت. ر، محمد ابو درة وآخرون، مراجعة: احمد نجيب هاشم، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1971م،ص273

27)- مونيس بخضرة، تاريخ الوعي - مقاربات فلسفية حول جدلية ارتقاء الوعي بالواقع: الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، مؤسسة محمد بن راشد ال مكتوم، بيروت - لبنان،ص246

28)-احمد عوض، دراسات بيئية: دار فوربار للطباعة، جمهورية مصر العربية، 2002م،ص315

29)- توماس مونرو، التطور في الفنون: ج (1):ت.ر، محمد ابو درة وآخرون، مراجعة: احمد نجيب هاشم، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1971م،ص274

30)- روبرت ستيرنبرج، المرجع في علم نفس الإبداع: ت. ر، محمد نجيب الصبوة وآخرون، المجلس الاعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2005 م،ص167

31)- زكريا ابراهيم، هيجل او المثالية المطلقة: مكتبة مصر، دار مصر للطباعة، 1970م،ص339

32)- عبد الاله بلقزيز، العولمة والهوية الثقافية، عولمة الثقافة ام ثقافة العولمة: المستقبل العربي، السنة 20، ع(229)، أذار/1998م،ص98

33)- التويجري، عبد العزيز عثمان، الثقافة العربية والثقافات الاخرى: بحث (غير منشور)، مقدم الى ندوة الثقافة العربية،المهرجان الوطني للتراث والثقافة،المملكة العربية والسعودية، الرياض، 1998م،ص23

34)- اتيان سوريو، الجمالية عبر العصور: ت. ر، ميشال عاصي، منشورات عويدات، بيروت- باريس، ط2، 1980م،ص167